

معارف مهدوية



عليه السلام

الإمام المهدي والنبى يوسف

دراسة مقارنة في معرفة حركة، وأدوار إمام الزمان في عصر الغيبة

الشيخ وسام البغدادي



إصدارات مركز قادة الأمم الثقافي
النجف الأشرف

- إسم الكتاب: الإمام المهدي والنبى يوسف (ع).
- المؤلف: الشيخ وسام البغدادى.
- الناشر: إصدارات مركز قادة الأمم الثقافى - العراق -
النجف الأشرف.
- الطبعة: الأولى.
- سنة الإصدار: 2024 م.
- التصميم والتنضيد: كادر مركز قادة الأمم الإعلامى.

اللهم عجل لوليك الفرج

الإهداء

أهدي هذه الكلمات إلى وجه الله وكلمته التامة ولسانه
الناطق بالحق إمام الإنس والجن صاحب الزمان الإمام
المهدي المنتظر رُوحِي له الفداء، وأسأل الله تعالى أن
يتقبل منا هذا القليل ويكون لي ولوالدي وأخوتي المؤمنين
المنتظرين ذخرًا في الدنيا والآخرة بحق محمد وآل محمد
عليهم السلام .

وأسأل مولاي المهدي عجل الله فرجه أن يشفع لوالدي المرحوم
جمال عطوان، وأخي المرحوم الشاب بسام جمال عطوان
ويفتح قلبي على علم آبائه ويرزقني رعايته بحق محمد
وآل محمد.

وسام

قال الإمام الصادق عليه السلام :

(إن في القائم من آل محمد شبيهاً من خمسة من الرسل يونس بن متى، ويوسف بن يعقوب، وموسى، وعيسى، ومحمد صلوات الله عليهم، وأما شبهه من يوسف بن يعقوب فالغيبية من خاصته وعامته، واختفاؤه من إخوته واشكال أمره على أبيه يعقوب عليه السلام مع قرب المسافة بينه وبين أبيه وأهله وشيعته ...).

الفهرس

الصفحة	العنوان
٧	المقدمة
٩	المبحث الأول: الامام المهدي والنبي يوسف في الروايات
١٠	المبحث الثاني: بداية غيبة النبي يوسف عليه السلام
١٣	المبحث الثالث: الغيبة اليوسفية لم تبطل حجيته على الخلق.
١٤	المبحث الرابع: التمكين الإلهي للنبي يوسف في غيبته.
١٥	المبحث الخامس: التعاطي مع الأحداث والتأثر بها.
١٥	اولا: مراودة إمراة العزيز ليوسف عليه السلام
١٥	ثانيا: دخول خليفة الله في الأرض السجن
١٦	ثالثاً: دعوة النبي يوسف الى التوحيد ومواجهة المنحرفين وهو غائب
١٨	المبحث السادس: الإدارة والتدبير في عصر الغيبة اليوسفية

الصفحة	العنوان
٢٠	المبحث السابع: تواصل إمام الزمان مع المخلصين
٢١	الإعداد والتربية في عصر الغيبة اليوسفية
٢٢	التفضل على الناس وقضاء الحوائج
٢٣	المبحث الثامن: الانتظار الإلهي وعدم اليأس من طول الغيبة
٢٤	المبحث التاسع: إظهار الندبة والحزن على الإمام الغائب

المقدمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد وآل بيته الطيبين الطاهرين واللعن الدائم المؤبد على أعدائهم من الآن إلى قيام يوم الدين .
أما بعد: إن العقيدة المهدوية عقيدة دينية أساسية نص عليها القرآن الكريم والنبى ﷺ، والعترة والطاهرة من أهل بيته ﷺ ، بأحاديث ونصوص كثيرة لا يمكن للفرد المنتظر التغاضي عنها أو تركها لا سامح الله، وذلك لأنها تشمل على مفاصل مهمة تدخل في صلب عقيدة الفرد المنتظر، وتكاليفه في عصر الغيبة الكبرى، فقد أكدت الروايات الشريفة على ضرورة معرفة إمام الزمان عجل الله فرجه، والتعرف على سيرته، وفلسفة غيبته، ظهوره، وهذا كله يدخل في مجال حركة الانتظار الهادف الذي يعني الحركة وعدم السكون وهذا مما أكد عليه الأئمة عليهم السلام تحت عناوين متعددة منها: المرابطة والترقب، والتربص، والعمل، والتوطئة والإستعداد لأي حدث يتعلق في الشأن المهدوي حيث روي عن الإمام الرضا عليه السلام:
(ما أحسن الصبر وانتظار الفرج أما سمعت قول الله عز وجل:
(وَأَرْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ). الغيبة ج1 ص32.

وورد في رواية معتبرة لبريد العجلي يسأل الإمام الصادق عليه السلام عن قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا) ما معناها؟

أجاب الإمام عليه السلام: (إصبروا على أداء الفرائض وصابروا عدوكم

ورابطوا إمامكم المنتظر). تفسير العياشي ج2 ص20

ومن هذا المنطلق أخذ مركز قادة الأمم الثقافي في النجف الأشرف على عاتقه المرابطة على ثغور العلم والمعرفة المهدوية عن طريق تسهيل القضية المهدوية للمتظرين عبر كراسات تهتم بالشأن المهدوي على جميع المستويات، وهذا الكراس الذي بين يديك هو عبارة عن مقارنة بين غيبة النبي يوسف عليه السلام، والإمام المهدي عليه السلام، بقلم فضيلة الشيخ وسام البغدادي دام توفيقه ونسأل الله تعالى أن نوفق جميعاً لتغطية سيرة الإمام المهدي عليه السلام وحررته إن شاء الله تعالى .

المبحث الأول

الإمام المهدي والنبى يوسف في الروايات الشريفة

ورد في الروايات الشريفة جملة من النصوص التي تبين وجه العلاقة بين الغيبة المهديّة، والغيبة اليوسفيّة، وأوضح الأئمة عليهم السلام الكثير من أوجه الشبه والمقارنة بينهما، فقد روي عن الإمام الباقر عليه السلام: (إن للمهدي سنة من يوسف فقيل له فما سنة يوسف؟ قال: (السجن والغيبة) وفي رواية أخرى: (السجن والتقية)، وعن الباقر عليه السلام: (في صاحب هذا الأمر أربع سنن من أربعة أنبياء إلى أن قال، وأما يوسف فالغيبة عن أهله بحيث يعرفهم ولا يعرفونه).

وعن الصادق عليه السلام قال: (وأما شبهه من يوسف بن يعقوب فالغيبة من خاصته وعامته وإخفاءه من إخوته، وإشكال أمره على أبيه يعقوب عليه السلام مع قرب المسافة بينه وبين أبيه وأهله وشيعته).

اثبات الهداة ج5 ص198، البحار ج51 ص217-218

والسنة هي الطريقة في تدبير الحكم وهي مشيئة الله تعالى وأمره في الماضين في خلقه، وهذه السنة الإلهية تمتاز بالثبات وعدم التبدل والإطراد، والعموم وقد أخبرت النصوص الشريفة أن غيبة الإمام المهدي عليه السلام لها شبيه من سيرة الماضين وجارية على سنة غيبات الأولين من الأنبياء والرسل والأوصياء، ومنهم النبي يوسف عليه السلام.

المبحث الثاني

بداية غيبة النبي يوسف عليه السلام

بدأت غيبة النبي يوسف عليه السلام وهو صغير وذلك حينما رموه أخوته في غيابة الجب قال تعالى: (قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غِيَابَتِ الْجُبِّ يَلْتَقِطُهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ) (فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غِيَابَتِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ)، وقد عبر القرآن الكريم عن غيبة يوسف عليه السلام بعدم الشعور أي أنها ليست غيبة وجود، أو الغاء دور، أو حضور، وإنما هي غيبة هوية، وإستتار وعمل بسرية، أي عدم معرفته بنسبه وحسبه، فيوسف عليه السلام غاب عن قومه قبل أن يبلغ أشده وحينما أنقذوه السيارة من البئر وأخذوه إلى مصر لم يعرفوه بحقيقته كنبى وإمام الزمان آنذاك، ولم يعرفوا حتى حسبه ونسبه، ولكنهم كانوا يعيشون معه من دون أن يشعروا بحقيقته .

والملاحظ أن غيبة يوسف عليه السلام كانت شديدة الخفاء لدرجة أنه غاب حتى عن أهله، وأبيه وأخوته وشيعته وخاصته وعامته، وطالت تلك الغيبة لسنين طويلة إختفى فيها بأعلى درجات ومستويات الغيبة. فالغيبة في المصطلح القرآني تعني عدم الشعور بولي الله المصلح وعدم معرفته بشخصه وهويته، أي أن الأطراف الأخرى لا يشعرون به ولا يعلمون حقيقته، ويتعاملون معه كما يتعاملون مع بقية الناس في المجتمع .

وهذه الغيبة اليوسفية تشبه غيبة الإمام المهدي عجل الله فرجه، فكما بدأت غيبة يوسف عليه السلام من غيابت الجب بدأت غيبة الإمام المهدي عجل الله فرجه من السرداب، وكما أشيع بأن يوسف قد قتل أو أكله الذئب كذلك أشيع بأن الإمام المهدي عجل الله فرجه قد قتل، أو مات، وأنه لا خلف للإمام الحسن العسكري عليه السلام.

وهناك عقول لا تريد أن تفهم هذه الحقيقة لذلك نجدهم لا يتقبلون فكرة أن الإمام المهدي عجل الله فرجه بدأت غيبته من السرداب بعد ملاحقة العباسيين له، ولكن القرآن الكريم عرض لنا ما هو أشد من ذلك، وهو غيبة يوسف عليه السلام التي بدأت من البئر، وبالتقاط السيارة له قال تعالى: (وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ قَالَ يَا بُشْرَىٰ هَذَا غُلَامٌ وَأَسْرُوهُ بَضَاعَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ* وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ). يوسف ١٩.

فهناك تشابه واضح بين الغيبة المهدوية، والغيبة اليوسفية حتى على مستوى بدء الغيبة، فقد بدأت غيبة يوسف عليه السلام من البئر وهو صبي وبدأت غيبة المهدي عجل الله فرجه من السرداب وهو صبي، وقد رافق غيبة يوسف عليه السلام إشاعات بالموت أو القتل، وكذا الإمام المهدي عجل الله فرجه فقد رافقت غيبته الإشاعات والدعوات الكاذبة من قبل العباسيين وأعوانهم .

وكما يوجد من أنكر ذلك في زمن يوسف ولم يتعقله، كذلك يوجد من ينكر غيبة الإمام المهدي عجل الله فرجه، وقد اشارت الروايات إلى هذه الظاهرة

فمن أبي عبد الله عليه السلام قال: إِنَّ فِي الْقَائِمِ سِنَّةً مِنْ يَوْسُفَ، قُلْتَ: كَأَنَّكَ تَذَكَّرُ خَبْرَهُ أَوْ غَيْبَتَهُ؟ فَقَالَ لِي: وَمَا تَنْكُرُ هَذِهِ الْأُمَّةَ أَشْبَاهَ الْخَنَازِيرِ، أَنَّ إِخْوَةَ يَوْسُفَ كَانُوا أَسْبَاطًا، أَوْلَادَ أَنْبِيَاءَ، تَاجَرُوا يَوْسُفَ وَبَايَعُوهُ، وَهَمَّ إِخْوَتُهُ، وَهُوَ أَخُوهُمْ فَلَمْ يَعْرِفُوهُ، حَتَّى قَالَ لَهُمْ: «أَنَا يَوْسُفُ وَهَذَا أَخِي» فَمَا تَنْكُرُ هَذِهِ الْأُمَّةَ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي وَقْتٍ مِنَ الْأَوْقَاتِ، يَرِيدُ أَنْ يَسْتَرِحَّ حُجَّتَهُ عَنْهُمْ، لَقَدْ كَانَ يَوْسُفُ يَوْمًا مَلِكًا مِصْرَ، وَكَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ وَالِدِهِ مَسِيرَةَ ثَمَانِيَةِ عَشْرَ يَوْمًا، فَلَوْ أَرَادَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنْ يَعْرِفَهُ مَكَانَهُ لَقَدَّرَ عَلَى ذَلِكَ، وَاللَّهُ، لَقَدْ سَارَ يَعْقُوبُ وَوَلَدُهُ عِنْدَ الْبَشَارَةِ فِي تِسْعَةِ أَيَّامٍ إِلَى مِصْرَ، فَمَا تَنْكُرُ هَذِهِ الْأُمَّةَ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يَفْعَلُ بِحُجَّتِهِ مَا فَعَلَ بِيَوْسُفَ، أَنْ يَكُونَ يَسِيرٌ فِيمَا بَيْنَهُمْ، وَيَمِشِي فِي أَسْوَاقِهِمْ، وَهُمْ لَا يَعْرِفُونَهُ حَتَّى يَأْذَنَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُ أَنْ يَعْرِفَهُمْ نَفْسَهُ، كَمَا أَذَّنَ لِيَوْسُفَ عليه السلام حِينَ قَالَ لَهُمْ: (قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيَوْسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ * قَالُوا إِنَّكَ لَأَنْتَ يَوْسُفُ قَالَ أَنَا يَوْسُفُ وَهَذَا أَخِي). الإمامة والتبصرة. (سورة يوسف: ٨٩ - ٩٠).

وكذلك أن من أوجه الشبه بين الغيبة اليوسفية والمهدوية هو أن يوسف عليه السلام كان يتحرك ويعرف الناس إلا أنهم لا يعرفونه، وكذلك الإمام المهدي عليه السلام فهو أيضا يتحرك في الأمة ويعرفهم ولا يعرفونه فقد روي عن الإمام الصادق عليه السلام قال: (يفقد الناس إمامهم يشهد الموسم فيراهم ولا يرونه) أي يعرفهم ولا يعرفونه. كمال الدين ص 379.

المبحث الثالث

الغيبية اليوسفية لم تبطل حجيته على الخلق .

إن الملاحظ في النبي يوسف عليه السلام على رغم من نبوته، وإمامته وعصمته وأنه المنقذ، والمصلح للأمة آنذاك إلا أن الذين كانوا معه ومعاصرين له لا يعرفونه بنعت النبوة، ولا الإمامة، ولا الخلافة، ولا بنعت الموعد والمصلح والمنقذ، وإنما عُرف بين الناس بأنه حكيم صديق وأمين، فالمجتمع كان يجهل حقيقته، ويتعامل معه كما يتعامل مع بقية الناس والأفراد، فهناك من يحبه، وهناك من يبغضه، ويقف بوجهه ويحاربه، فالمجتمع كان لا يعرف أن هناك نبياً، وإماماً معصوماً تجب طاعته يسير بينهم ويدبر شؤونهم وحياتهم، ومع كل ذلك أن حجيته على الخلق لم تبطل ولم يبطل دوره المناط إليه من المسؤولية الإلهية . وكان يتعاطى مع الأحداث بكل تفاصيلها، ويعيش الآلام والمحن وهموم الناس والفقراء، والمستضعفين، ويحاول بكل وسيلة أن يدير شؤونهم وينفعهم ويشعر بهم، وكان يعرفهم على حقيقتهم، ولم ينقطع عنهم.

فالغيبية هنا ليست غيبة وجود، ولا غيبة ادوار، ولا تخلي عن المسؤولية ولا عدم قدرة على التدبير، فكل هذه الشؤون متحققة في مسيرته غاية الأمر أن الناس لا يشعرون بحقيقته فهي خافية عنهم من هذه الناحية، وهذا بعينه في الإمام المهدي عليه السلام فإنه حاضر ويتعاطى مع الأحداث ويدبر الأمور، والشؤون المتعلقة بالمجتمع، ويمارس دوره ضمن مسؤوليته الإلهية وينفع الأمة بعلمه، وحكمته وتدبيره إلا أن الأمة لم تتعرف على هويته الحقيقية .

المبحث الرابع

التمكين الإلهي للنبي يوسف في غيبته.

قد مكن الله تعالى يوسف عليه السلام على خزائن الأرض وفتح له سبل النفوذ والقدرة وأن يتبوا مقاماً ومكانةً بين المجتمع ليصير نافذ اليد، ومبسوط القدرة، وإن كانت بحدود معينة أضيق من تمكينه في وقت الظهور إلا أن تمكينه الأولي كان بالخفاء والغيبة بحيث يعمل ويتحرك بتمكين وقوة من دون أن يعرف الناس، ولا يعلمون بحقيقته، وهويته قال تعالى: (قال اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُونَ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ). يوسف 50.

وهذا بعينه في الإمام المهدي عليه السلام، فإنه غائب عنا كغيبة يوسف عليه السلام فيدير شؤون البشرية ويمكن على بعض الأمور وله القدرة والنفوذ في جميع أنحاء الأرض ويمارس جميع أدواره لكن بسرية وخفاء كيوسف عليه السلام، ولا نطلع على حقيقتها إلا بعد ظهوره، وسيكون تمكينه عند الظهور بشكل أوسع من التمكين في حال الغيبة.

فالغيبة المهدوية ليست شيئاً من الخيال أو الوهم أو موضوع لا يمكن تعقله، وإنما يسير بنا كما سار يوسف عليه السلام في أهل مصر فقد مكن على خزائن الأرض وأصبح عزيز مصر من دون أن يعرف الناس جميعاً بأنه هو النبي المبعوث وهو إمام الزمان الهادي إلى طريق الصراط المستقيم، فكذلك الإمام صاحب الامر عليه السلام، فإن الله تعالى يمكنه في هذه الأرض حتى مع غياب هويته الشخصية، فنحن لا نعرفه ولا نعلم ما يقوم به من أدوار عظيمة تساهم في حفظ الإسلام والتشيع والأمة كما كان يوسف عليه السلام حتى يظهره الله عز وجل للبشرية.

المبحث الخامس

التعاطي مع الأحداث والتأثر بها .

إن النبي يوسف عليه السلام مرَّ بأنواع الإبتلاءات، والمحن في فترة غيبته، وقد كان يتعاطى مع الأحداث التي يمر بها الناس والمجتمع والحكومات، وكذلك كان يتأثر بها ويتخذ بعض القرارات في المواجهة لتلك الأحداث التي تمر به أثناء غيبته ومن أهم الأحداث التي رافقت النبي يوسف في غيبته :

أولاً : مرادة إمراة العزيز ليوسف عليه السلام .

مر النبي يوسف عليه السلام بأحداث كبرى اثناء الغيبة والتي منها مواجهته لإمراة العزيز التي راودته عن نفسه وغلقت عليه الأبواب، وظلمته واتهمته أمام المجتمع، والناس لا يعرفون أنه هو إمام الزمان الذي على يديه تتحقق الهداية والعدالة الإلهية، وقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك فقال تعالى: (وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ).

فقد ظلم إمام الزمان وأتهم أمام المجتمع آنذاك من قبل الظالمين وهو غائب صابر على هذا النوع من البلاء .

ثانياً: دخول خليفة الله في الأرض السجن :

ومن الأمور التي جرت على النبي يوسف عليه السلام في غيبته ظلم الأمة له حتى وصلت المرحلة بأن يلقي ويودع في السجن بسبب تهمة باطلة وجهت له من قبل إمراة عزيز مصر بعد إن راودته عن نفسه

وأمتنع عن ذلك قال تعالى: (وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيَسْجَنَنَّ ثُمَّ بَدَأَ لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوْا الْآيَاتِ لَيَسْجَنُنَّهُ حَتَّىٰ حِينٍ)، وهذا كله كان في غيبته حيث لا يعرف الناس حقيقته، وأنه هو إمام الزمان حتى الذين كانوا معه في السجن، فلم يتعرفوا عليه، وإنما كانوا يتعاملون معه كإنسان عادي لفترة طويلة من الزمن حتى أقتضت الحكمة الإلهية بأن يخبر بعض ممن كانوا مؤهلين وقادرين على الأيمان بمشروعه ونصرته .

وقد ورد في بعض الروايات الشريفة أن للمهدي سنة من يوسف وهي السجن أي قد يمر إمام الزمان عَلَيْهِ السَّلَام بنفس ما مر به يوسف من الظلم والإفتراء الذي قد يوجه له من قبل بعض ضعاف النفوس الذي يسبب السجن له كما حصل ليوسف عَلَيْهِ السَّلَام، ولا عجب في ذلك لأن غيبة الإمام المهدي عَلَيْهِ السَّلَام لا تعني العزلة عن المجتمع وعدم التعاطي مع الأحداث وإنما تعني وجوده بينهم من دون أن يتعرفوا على شخصه الحقيقي .

ثالثاً: دعوة النبي يوسف إلى التوحيد ومواجهة المنحرفين وهو غائب .

ومن الأحداث التي مرت بالنبي يوسف عَلَيْهِ السَّلَام وهو أنه حتى وفي أثناء غيبته، وخفاء عنوانه عن الناس كان يدعو إلى التوحيد الإلهي، وينبذ عبادة الأصنام في المجتمع، وكان يواجه السحرة، والمشعوذين والمنحرفين، والكهنة الذين كانوا يدعون الناس إلى عبادة الأصنام .

فالغيبية لم تمنع إمام الزمان يوسف عَلَيْهِ السَّلَام عن القيام بالدعوة الإلهية، وإنما مارس أسلوب الدعوة إلى الله بشكله الطبيعي من دون أن يعرف الناس حقيقته بأنه نبي مبعوث من قبل الله تعالى .

وهذا بعينه يقوم به الإمام المهدي عجل الله فرجه فإنه ليس منزوياً، أو معزولاً عن المجتمعات، وإنما يمارس دوره ويدعو إلى الله تعالى والإسلام المحمدي الأصيل، ويواجه المنحرفين إلا أن كل ذلك ليس بعنوانه الحقيقي، وإنما يسير في دعوته كما كان يوسف عليه السلام يسير في الناس ويدعو إلى الله تعالى، فقد يتأثر بالأحداث ويتعاطى معها، وقد يواجه من قبل الأمة أشد مواجهة إلا أن الله تعالى ينصره ويؤيده لأنه هو صاحب المشروع الإلهي الموعود لهذه الأمة كما كان يوسف عليه السلام.
ومن لا يتفهم ولا يتعقل ذلك عليه أن يضع مسيرة الغيبة اليوسفية ودعوته إلى الله تعالى نصب عينيه، ويفكر بها جيداً هذا إن كان يؤمن بالقرآن الكريم وإلا فالكلام لا ثمرة ولا فائدة ترجى منه البتة.

المبحث السادس

الإدارة والتدبير في عصر الغيبة اليوسفية.

تعطي مسيرة النبي يوسف عليه السلام صورةً جلية وواضحة بأن إمام الزمان عليه السلام في غيبته قادر على تدبير شؤون المجتمع وله القدرة على إدارة الملفات الصعبة بأعلى المستويات، وأن الغيبة لا تمنع من القيام ببعض المهام الكبرى بل على العكس، أن الإمام وإن كان غائباً لكن يتمكن من إدارة ملفات كبرى ومحورية سواء على المستوى السياسي، أو الاجتماعي، أو الاقتصادي أو الديني، وغيرها، وقد أعطت غيبة يوسف عليه السلام مثالا واضحا على ذلك لا يقبل الشك والإرتياب، فأن يوسف عليه السلام قام بإدارة ملفات سياسية وإقتصادية ودينية كبيرة في المجتمع المصري من دون أن يعرف الناس أن الذي يدير هذه الملفات هو إمام الزمان آنذاك فعلى سبيل المثال أن يوسف عليه السلام كان عزيز مصر وكان يدير شؤون المجتمع بالشكل المباشر، ويتعاطى مع الحدث لحظة بلحظة، ويتخذ القرارات ويقوم بمشاريع كبيرة تساهم في حفظ المجتمع من الإنزلاق وأوضح مثال ذكره القرآن الكريم هو إدارته لأكبر ملف إقتصادي في عصره، والذي أنقذ فيه أهل مصر من الجوع والقحط لمدة أربعة عشر عاماً، وإستطاع أن ينقذ الطبقات المحرومة بتدبير وحكمة عالية، وهذا كله كان في غيبته وإستتاره، ولم يعرف الناس حقيقته وأنه إمام الزمان والمصلح الموعود وإنما يعرفونه بأنه رجل حكيم صديق قال تعالى:

(يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ قَالَ تَزَرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَابًّا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرَوْهُ فِي سُنْبُلَةٍ

إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعُ شَدَادٍ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَحْصِنُونَ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصُرُونَ). يوسف ٤٩ ، بل أكثر من ذلك إن هذه القصة تعرض لنا أن إمام الزمان وإن كان غائباً لكن غيبته لا تمنع من أن يرسم الخطط والمشاريع ويقدم للأمة نظريات سياسية وإقتصادية ودينية وإجتماعية، وينقذ الأمة من أزمات كبيرة جداً فقد قام يوسف عليه السلام بتخطيط دقيق، وقدم نظرية لم تكن معهودة آنذاك في خصوص حفظ المواد الغذائية وطريقة تخزينها لسبع سنوات من القحط، وقدم أسس لعملية الإنتاج والتوزيع العادل وكان له الدور في إنقاذ أمة كاملة من القحط والجوع آنذاك .

والإمام المهدي عليه السلام كيوسف عليه السلام في غيبته فإنه موجود وحاضر ويمارس أدواراً كبيرة في الأمة، ويتدخل في حل الكثير من الأزمات والمنعطفات التي تعصف بالأمة ويدبر شؤونها قطعاً كيوسف عليه السلام، والغيبة لا تمنع من القيام بمثل هذه الشؤون لأنها تعني العمل بسرية من دون الإفصاح عن الهوية الحقيقية.

إن قلت: وكيف نستكشف ذلك ؟

قلنا: كما كان الناس في عهد غيبة النبي يوسف عليه السلام ، فإنه كان يقوم بكل ذلك من دون أن يعرف المجتمع حقيقته كنبى، أو خليفة، أو إمام الزمان أو المصلح الموعود لنجاة الأمة، والناس إلى حين ظهوره، فكذلك الإمام المهدي عليه السلام ، فإن جميع ما يقوم به في غيبته سينكشف لنا حين ظهوره عليه السلام.

المبحث السابع

تواصل إمام الزمان مع المخلصين .

تحدثنا مسيرة النبي يوسف عليه السلام أن إمام الزمان عليه السلام في ضمن مشروعه يمكن أن يلتقي ببعض المخلصين في سبيل سير المشروع الإلهي، كما أفصح يوسف عليه السلام لأخيه بنيامين قال تعالى: (وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يَوْسُفَ أَوَىٰ إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئَسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) يوسف ٦٩، فقد تشرف بنيامين بقاء يوسف إمام زمانه، إلا أن هذا التشرف لا يعطي الحجية لأخيه بنيامين ولا يعطيه دعوة لنفسه، ولا يعطي نيابة خاصة له، بل أن بنيامين كان مأموراً بعدم الإفصاح عن تشرفه باللقاء، وهذا دليل على إمكان لقاء صاحب الأمر عليه السلام مع بعض قاداته والمقربين له ومواليه، وقد ورد هذا المعنى في بعض الروايات الشريفة فعن أبي جعفر عليه السلام: (لا بد للإمام من عزلة ولابد لعزله من قوة وما بثلاثين من وحشة...). البحار ج ٥٣ ص ٣٢٠.

نعم إن اللقاء بإمام الزمان عليه السلام في غيبته لا يعطي الحجية لأصحاب ذلك اللقاء ولا يعطي نيابة خاصة، ولا دعوة خاصة، وإنما هو لقاء لا يفصح عنه من قبل الشخص المتشرف به، لأن ذلك منهي عنه في روايات أهل البيت عليهم السلام في ضمن أحاديث النهي عن المشاهدة، والسفارة والدعاوى الباطلة .

فقد ورد في التوقيع الشريف الذي خرج من الناحية المقدسة للسير الرابع علي محمد السمري رضي الله عنه ما نصه: (يا علي بن محمد السمري اعظم الله أجر اخوانك فيك، فانك ميّت ما بينك وبين ستة أيام، فاجمع أمرك، ولا توصى إلى أحد يقوم مقامك بعد وفاتك فقد وقعت

الغيبية التامة، فلا ظهور إلا بعد اذن الله تعالى ذكره، وذلك بعد طول الأمد، وقسوة القلوب، وامتلاء الأرض جوراً، وسيأتي شيعتي من يدعي المشاهدة، ألا فمن ادعى المشاهدة قبل خروج السفيناني والصيحة، فهو كذاب مفتر، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم) الغيبة للطوسي : ص ٢٩٥، وعن أبي عبدالله عليه السلام قال: (لا يقوم القائم حتى يقوم إثنا عشر رجلاً كلهم يجمع على قول انهم قد راوه فيكذبوهم) الغيبة للنعماني ج ١ ص ٣٨٣.

الإعداد وتربية الأنصار في عصر الغيبة اليوسفية .

إن يوسف عليه السلام حتى عند غيبته كان يعد أنصاراً لمؤازرته وذلك من خلال دعوته للبعض إلى الله تعالى فقد أعد يوسف من كان معه في السجن وغيرهم، وهداهم إلى الصراط المستقيم، وأعدهم للسير معه في إقامة دولة العدل فداعهم إلى التوحيد وعبادة الله تعالى وإستزادوا من حكمته، وخلقهم وعلمهم من دون أن يعرفوه في بادئ الأمر، قال تعالى علي لسان يوسف عليه السلام: (يَا صَاحِبِي السِّجْنِ أَرَأَيْتَ مُتَّفِرِّقُونَ خَيْرٌ أَمْ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ) يوسف ٣٩، وقد أدت هذه الدعوة إلى الأيمان بمشروعه حتى كانوا له من الأعوان والأنصار والمدافعين عنه، والمسارعين لقضاء حوائجه في أيام حكومته وكذلك أيام ظهوره وحركته، وهذا أيضاً ممكن أن يحصل في غيبة

الإمام في غيبة الإمام المهدي عَلَيْهِ السَّلَام، فهو موجود وحاضر ويتعاطى مع الأحداث ويتواصل مع الناس ويعد العدة لخروجه ويتواصل مع البعض ويقوم بتربيتهم على النصره من دون الشعور بهويته الشخصية، وهناك من يتأثر به ويدعوته .

ونسأل الله تعالى أن يمن على المنتظرين بهذه النعمة نعمة التعلم والتزود والهداية على يد الإمام المهدي عَلَيْهِ السَّلَام في غيبته والتوفيق لنصرته والذب بين يديه عند ظهوره .

التفضل على الناس وقضاء حوائجهم.

إن يوسف عَلَيْهِ السَّلَام كان متواجداً بين الناس ويقضي حوائجهم ويلجأ إليه عند الضيق والشدة في اثناء غيبته، وكان يتعاطى مع الفقراء والمساكين واصحاب الحاجات ويقضي حوائجهم ويلبي مطالبهم، ومع ذلك لم يعرف الناس حقيقته كما قام الزمان قال تعالى: (فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُّزْجَاةٍ فَأَوْفَ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ)، يوسف ٨٨، وكذلك الإمام المهدي عَلَيْهِ السَّلَام، فإنه موجود ويتواصل مع المجتمع ويقضي حوائج الناس ويلبي حاجاتهم ، ويقف معهم وينصرهم من دون الشعور بحقيقته، وقد ورد هذا المعنى في التوقيع الشريف قال عَلَيْهِ السَّلَام: (فإننا نحيط علمنا بأبنائكم، ولا يعزب عنا شيء من أخباركم، ومعرفتنا بالزلل الذي أصابكم، مذ جنح كثير منكم إلى ما كان السلف الصالح عنه شاسعا، ونبذوا العهد المأخوذ منهم وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون إنا غير مهملين لمراعاتكم، ولا ناسين لذكركم، ولولا ذلك لنزل بكم اللأواء واصطلمكم الأعداء). البحار ج ٥٢ ص ١٧٥

المبحث الثامن

الانتظار الإلهي وعدم اليأس من طول الغيبة

إن الملاحظ من مسيرة الغيبة اليوسفية أن هناك من كان ينتظر ظهوره المبارك في يوم من الأيام وهو يعقوب عليه السلام، فعلى الرغم من إصرار أولاده في أن يوسف عليه السلام قد مات لكنه عليه السلام بقي مصراً وصابراً لسنين طوال منتظراً إمام الزمان وقد أخبرت الآيات الكريمة بهذا المعنى، وهو أن المنتظر لإمام الزمان لابد أن لا يحصل لديه اليأس من الظهور المبارك فقال تعالى على لسان يعقوب: (يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَأْسُ مِنَ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ). يوسف ٨٧، وقال تعالى: (فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا) ، فهذه الآيات الكريمة تعطي للمتظرين درساً مهماً وعالياً في حركة الانتظار المهدي، وهو أن النبي يعقوب عليه السلام لم يأس من روح الله عز وجل بل بقي متاملاً ظهور إمام الزمان والمنقذ الموعود الذي هو ابنه، رغم طول الغيبة، وتوارد الشبهات والإشاعات، ورغم يأس أخوته وذويه وأهله، ويأس الناس ممن يعرفونه فضلاً عن لا يعرفه ويجهل أمره فكان صابراً ومتيقناً بأنه سيظهر في يوم من الأيام، وهذا درس عقائدي مهم جداً بالنسبة للمتظرين في عصر الغيبة الكبرى للإمام المهدي عليه السلام فمهما يمر علينا من المحن، والابتلاءات والمصاعب والفتن والشبهات والإشاعات من بعض المنحرفين، والمغرضين ينبغي مواجهة كل ذلك بالصبر والتحمل وعدم اليأس والإستعداد والجهوزية العالية والمرابطة المستمرة كما كانت مرابطة يعقوب المستمرة والدائمة حتى أذن الله تعالى بالظهور اليوسفي، كذلك ينبغي على المتظرين أن يقوموا بمثل ذلك حتى يأذن الله تعالى بالظهور المهدي .

المبحث التاسع

إظهار الندبة والحزن على الإمام الغائب

من الدروس المهمة التي ترافق الغيبة اليوسفية هي مسالة الحزن على الإمام الغائب، فالبعض من المغرضين والجهلة والمستهزئين يستنكر على المؤمنين ندبتهم للإمام المهدي عجل الله فرجه وحزنهم عليه، إلا أن القرآن الكريم يعطي للمنتظرين حقيقة واقعية تخالف هذه الاعتراضات، وذلك في غيبة يوسف عليه السلام، فحينما غاب عن أهله وأبيه وأخوته تلك السنين الطوال كان يعقوب النبي عليه السلام ينتظره بشوق وحزن وبكاء وندبة ولم يفتر هذا الحزن يوماً من الأيام حتى ابيضت عيناه قال تعالى: (وَأَبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ)، وقال تعالى علي لسان يعقوب - وهو يناجي ويندب ويتأسف على غيبة ولده- (وَقَالَ يَا سَفِيُّ عَلِيُّ يَوْسُفَ)، وقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام مدى حزن بنيامين على أخيه يوسف وشوقه الدائم إليه بحيث وصل الحزن والشوق به أنه رزق بأحد عشر ولداً وكلهم أسماهم على أسم يوسف فواحد أسماه دم، والآخر قميص، وآخر ذئب، وهكذا استمر على ذكره حتى وفق بقاء أخيه وإمام زمانه .

فَعَن أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: «وَقَدْ كَانَ هَيَّا لَهُمْ طَعَامًا فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ، قَالَ: لِيَجْلِسَ كُلُّ بَنِي أُمِّ عَلِيٍّ مَائِدَةً - قَالَ - فَجَلَسُوا، وَبَقِيَ بَنِيَامِينَ قَائِمًا، فَقَالَ لَهُ يَوْسُفُ: مَا لَكَ لَا تَجْلِسُ؟ قَالَ لَهُ: إِنَّكَ قُلْتَ: لِيَجْلِسَ كُلُّ بَنِي أُمِّ عَلِيٍّ مَائِدَةً، وَ لَيْسَ لِي مِنْهُمْ ابْنٌ أُمَّ. فَقَالَ يَوْسُفُ: أَمَا كَانَ لَكَ ابْنٌ أُمَّ؟ قَالَ لَهُ بَنِيَامِينَ: بَلَى.

قَالَ يُوسُفُ: فَمَا فَعَلَ؟ قَالَ: زَعَمَ هَؤُلَاءِ أَنَّ الذَّنْبَ أَكَلَهُ قَالَ: فَمَا بَلَغَ مِنْ حُزْنِكَ عَلَيْهِ؟ قَالَ: وُلِدَ لِي أَحَدَ عَشَرَ ابْنًا، كُلُّهُمْ شَقِيقٌ لَهُ اسْمًا مِنْ اسْمِهِ. فَقَالَ لَهُ يُوسُفُ: أَرَأَيْكَ قَدْ عَانَقَتِ النِّسَاءَ وَ شَمِمَتِ الْوَالِدَ مِنْ بَعْدِهِ قَالَ لَهُ بَنِيَامِينَ: إِنَّ لِي أَبَا صَالِحًا، وَإِنَّهُ قَالَ: تَزَوَّجْ، لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَخْرُجَ مِنْكَ ذُرِّيَّةٌ تُثْقِلُ الْأَرْضَ بِالتَّسْبِيحِ؟ فَقَالَ لَهُ: تَعَالَى فَاجْلِسْ مَعِيَ عَلَى مَائِدَتِي؟ فَقَالَ إِخْوَةُ يُوسُفَ: لَقَدْ فَضَّلَ اللَّهُ يُوسُفَ وَ أَخَاهُ، حَتَّى أَنْ الْمَلِكَ قَدْ أَجْلَسَهُ مَعَهُ عَلَى مَائِدَتِهِ، وَ فِي رِوَايَةٍ أُخْرَى أَنْ بَنِيَامِينَ قَالَ: (سَمِيَتْ وَاحِدًا مِنْهُمْ ذَنْبٌ وَ وَاحِدًا الْقَمِيصُ وَ وَاحِدًا الدَّمُ ... لِثَلَا أَنْسَى اخِي). البحار ج ١٢ ص ٢٢٨.

وهذا شبيه بما يقرأه المنتظرون في دعاء الندبة فهم يظهرن الحزن والتحسر والتأسف كما كان يصنع يعقوب عليه السلام، فيقولون في ندبة صاحب الأمر عليه السلام: (هَلْ مِنْ مُعِينٍ فَاطِيلَ مَعَهُ الْعَوِيلَ وَالْبُكَاءَ؟ هَلْ مِنْ جَزُوعٍ فَاَسَاعِدَ جَزَعَهُ إِذَا خَلَا؟ هَلْ قَدِيتَ عَيْنٌ فَاَسَاعَدَتْهَا عَيْنِي عَلَى الْقَدَى؟ هَلْ إِلَيْكَ يَا بَنَ أَحْمَدَ سَبِيلٌ فَتَلْقَى)، فهذه العبائر لا تختلف عما كان يصنعه يعقوب النبي عليه السلام، بل أن ما قام به يعقوب أشد من ذلك حيث أبيضت عيناه، فكأنه يقول أن إمام الزمان لو كان غائباً يستحق البكاء والحزن حتى لو وصلت المرحلة إلى بياض العين وتلفها، وقال تعالى: (لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ)، وهذه العبر للمؤمنين المنتظرين وليس للمكذبين والمستهزئين والمعرضين الذين يستكثرون على المنتظرين أن يصنعوا كما صنع يعقوب النبي عليه السلام.